Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(7), May 2018

Article History

Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online / Yayınlanma
2 /5/2018	11 /5/2018	15 /5/2018

مفهوم المقدس في شعر الحداثة – صلاح عبد الصبور مثالاً–

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية

الملخص

بسم الله الخالق العظيم والصلاة على اشرف الخلق اجمعين الذي بعثه الله هداية للخلق سيدنا ونبينا محمد صلوات الله عليه وعلى آل بيته وصحبه المقربين وبعد:

لا يوجد موضوع اختلفت في تحديده الآراء مثل موضوع المقدس حتى صار من الصعب جدا وضع إطار متفق عليه ولاسيما بين الفلاسفة والأدباء؛ وتتأتى هذه الصعوبة من إن لكل جماعة نواحي خاصة بها سواء في الأفكار أم في الشعور أم في الاعتقاد أم في التعبد. أما الصعوبة الأخرى في تحديد المفهوم فتعود إلى التغيرات الدائمة على مستوى الفكر والثقافة والسياسة، فعلى الرغم من كل هذا فان بقاء المعتقدات رهن بمزاج معتقديها؛ وهذه المعتقدات تخضع في هدوء للتعديل والتشكيل حتى تلبي الحاجات، فليست المعرفة هي الوحيدة التي تتزايد في كل يوم فحسب ولكن الرغائب والافكار وحتى القناعات أيضا ازدادت، فلم يعد المقدس مقدسا في فكر مجموعة من الناس، وإنما اضيفت القدسية على مفاهيم لم تحمل صفة القدسية من قبل.

وما أفرزته الحداثة من معطيات وتداعيات في الحقول المعرفية كافة كان المقدس كسائر الظواهر المعرفية قد واجه إشكاليات وتحديات كثيرة، وأثيرت مشكلة المثقف مع المقدس هذه المشكلة التي تكشف عن أزمة تشكيل الفكر والثقافة في العالم العربي والإسلامي. واصبحت القصيدة الحُرّة قصيدة مضامين فكرية، اذ ان شعر معظم شعراء الحداثة ينطلق من القلق كما يتشح بهاجس الهزيمة على الصعيدين الشخصي والعام مع الامل العميق بنهوض جديد لهذه الامة، يصل حاضرها المتردي بماضيها المشرق باتجاه تأسيس المستقبل المضيء.

وموضوع المقدس من الموضوعات المهمة جدا ولاسيما في الشعر الحديث المنطلق من فكرة أن من يريد الخلق والإبداع لابد أن يبدأ أولا بالإفناء وإهدار القيم والميول الأخلاقية للعصر والجماعة. ليقيم مكانها قيما جديدة تتناسب والفكر الحديث؛ وهذا لا يعني ان كل قديم لابد من تحطيمه لان في القديم قيما متوارثة عبر العصور شكلت لنا الثقافة الجمعية التي تمثل تراث الامة. و شعر صلاح عبد الصبور خير مثال للشعر الحديث، وموقفه من المقدس محير ومثير في الوقت نفسه. ولهذا فإننا لا نستطيع أن نفهم موقفه إلا إذا استعرضنا أهم الأحداث والمواقف التي ساهمت في تكوين المفاهيم في شعره، فكان الهدف من هذا البحث استعراض الصور التي رسمها الشاعر لعرض مفهومه حول المقدس وما نتج عنها من تحطيم للمقدس او لتقديسه اكثر، أو لإيجاد صورا جديدة لمقدسات يراها مقدسة من وجهة نظره عبر مراحله الشعرية المختلفة.

الكلمات المفتاحية : (المقدس – الحداثة– صلاح عبد الصبور)

مفهوم المقدس في شعر الحداثة – صلاح عبد الصبور مثالاً–

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

The concept of the sacred in the poetry of modernity
-Salah Abdul Sabour model –
Assistant Professor. Dr.Boshra Hanoun Mohsen
Assistant professor. Dr. Anwar Said Jawad
University of Karbala / Faculty of Islamic Sciences / Department of Arabic Language

Summary
In the name of God the great creator and prayer for the most honorable creation of all who sent God guidance to the creation of our master and prophet Muhammad prayers of God and to the family and his close friends and after :
There is no subject that differed in the definition of opinions such as the subject of the Bible , so it became very difficult to establish an agreed framework , especially among philosophers and writers. This difficulty comes from the fact that each group has its own aspects , whether in ideas , feelings , beliefs or worship. The other difficulty in defining the concept is due to the permanent changes in the level of thought , culture and politics . Despite all this , the survival of beliefs depends on the temperament of the detainees ; these beliefs are quietly modified and formed to meet the needs , not only knowledge is increasing only every day but The sacraments ideas and even the convictions have increased . The sacred is no longer sanctified in the thought of a group of people , but sanctity has been added to concepts that have never been sanctified .
And the results of modernity of data implications in all field of knowledge was sacred as other phenomena of knowledge has faced many problem and challenged , and raised the problem of the intellectual with the sacred problem that reveals the crisis of the formation of thought and culture in the Arab and Islamic world . The free poem became a poem of intellectual content , as most of the poets of modernity were concerned about the defeat of both the personal and the public with the deep hope of a new revival of this nation.
And the subject of sacred topics of great importance , especially in modern poetry starting from the idea that those who want creations and creativity must first begin to annihilate and waste the moral values and tendencies of the era and the community . It does not mean that every old one has to be destroyed because in the ancient values inherited through the ages have formed us the culture of the assembly representing the nation's heritage . Salah Abdul Sabour felt the best example of modern poetry , and his position on the sacred is both puzzling and exciting . Therefore , we can not understand his position only if we reviewed the most important events and position that contributed to the formation of concepts in his poetry , the purpose of this research was to review the images drawn by the poet to present his concept about the sacred and resulting in the destruction of the sacred or to sanctify more , or to find new images of the holy sites He sees it sacred from his point of view through his various poetic stages.

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

مفهوم المقدس في شعر الحداثة

– صلاح عبد الصبور مثالا–

توطئة

إن توافر الشاعر الحداثي على ذخيرة معرفية ثرية عمقت وعيه ورفعت من درجة حساسيته بإزاء المحيط وما يزخر به من تناقضات وتحديات. دفعت به الى البحث عن قوى معنوية وروحية جديدة يستعيد بها توازنه، ويستزيد من معينها ما يشد أزره في درب كفاحه الطويل. ويبقى الإبداع وعيا فرديا وجمعيا يتشكل من خلال المثاقفة الحضارية والفكرية مع مشارب مختلفة، ولا يعني هذا _تحديدا_ أن تكون هذه المشارب هي الماضي، على الرغم من اهميته ودوره في تشكيل كثير من الأعمال الإبداعية الجديدة. والثقافة هي التي تشكل رؤية الشاعر للعالم، هي الروح التي تشيع في التجربة الذاتية سحر الانتقال من الخاص الى العام، فتضفي عليها الحيوية والديمومة.

إن ثقافة الشاعر لا يمكن أن تكون نتاج عنصر ثقافي محدد، ولكنها جماع لخبرات عديدة، وهذا ما سنجده جليا في شعر صلاح عبد الصبور اذ يصور لنا معاناة الإنسان المعاصر المحطم الإرادة، الضائع، القلق في ظل تلك الحضارة الزائفة الرتيبة، فيعبّر عن اغترابه وغربته وقلقه الإنساني من الموت والوحدة والعزلة وكل ما يحيط به. وقد كانت الحداثة بمثابة الزلزال الذي احدث تحولا جذريا على كافة المستويات ذلك ((إنها بنيــة كلية. وهذه البنية عندما تلامس بنية اجتماعية وثقافية تقليدية فإنها تصدمها، وتكتسحها بالتدريج ،ممارسة عليها ضربا من التفكيك، ورفع القدسية))[1] فالحداثةُ ليست عملية لها بداية واضحة يمكن متابعة مسيرها. ولا يمكن فصلها عن السياقات الاجتماعية والتاريخية والحضارية وعدها ظاهرة ثقافية أو شعرية فهي صراع مع الزمن وبحث دائم عن الجديد، داعية إلى التخطي والتجاوز الذي مثل قيمة كبرى للشاعر الجديد، اذ أن ((التجاوز هو القيمة الأولى في الشعر الجديد، انه تجاوز الأشكال والمقاييس والمفاهيم الماضوية التي نشأت كتعبير عن أوضاع وحالات مرتبطة بزمانها ومكانها، وبات من الضروري أن يزول فعلها، لزوال الظروف التي كانت سبباً في نشوئها وهذا يعني أن الماضي لم يهّم الشاعر الجديد كقدسية مطلقة نهائية الذي يهمه بمقدار ما يدعوه إلى الحوار معه وبمقدار ما يتعانق مع المستقبل))[2] ويمكن لنا أن نلاحظ أهم إشارات التحول الحداثي في المبدع توجهه إلى رفض السائد والدعوة إلى الهدم، باحثا عن سبل جديدة يتجاوز بها القديم، ليؤسس لجديد يحقق له ما يصبو اليه سواء على مستوى الادب او الحياة.

المبحث الاول : صلاح عبد الصبور شاعر اشكالي

كانت الحركة الفكرية والسياسية تعتمل في الوسط الثقافي العربي وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية فقد وفدت على المنطقة العربية أيديولوجيات زعزعت من طمأنينة الاعتقادات السائدة[3]، وقد وقف المفكر العربي موقفا اتسم بنوع من الاستسلام لهذه الأفكار والنظريات والفلسفات التي أخذت تغزو حياته من العالم الغربي فلو ((عدنا إلى قراءة تاريخ الفكر العربي الحديث والمعاصر لوجدناه ينحصر

(1) الحداثة وما بعد الحداثة، د. محمد سبيلا، مركز دراسات فلسفة الدين –بغداد،2005، ص28

(2)الحداثة الشعرية : 45 .

(3)ينظر: عن اللغة والأدب والنقد رؤية تاريخية ورؤية فنية: محمد أحمد العزب؛ مؤسسة المعارف للطباعة والنشر: 1980م. ص: 151

مفهوم المقدس في شعر الحداثة – صلاح عبد الصبور مثالاً–

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

في إطار علاقته مع الفكر الغربي، تلك العلاقة التي شابها الكثير من الاضطراب وعدم الاستقرار تراوحت دائما بين الرفض التام والقبول التام))[1] ، ونتيجة للتحولات التي شهدتها الأمة العربية على كافة المستويات استدعت تحولا في الثقافة، وقد كانت الإرهاصات الأولى لحركة الشعر الحديث تبشر بثورة شاملة في السياسة والمجتمع والفكر. وبدأ الشعر يقدم قضايا حضارية أساسية تشمل اللغة والموروث الثقافي والنظرة الإنسانية لمعنى الحياة[2].

ولعل الحديث عن الايديولوجيا لا يتفق والشعر على اعتبار أنهما نسقان مختلفان إذ لا يمكن تحويل الشعر إلى ايديولوجيا لكن العكس ممكن إذ ان للشعر بعداً ايديولوجياً. وقد اشار أحد الباحثين إلى ذلك بقوله: ((والحق انه إذا أثير سؤال هل للشاعر الحديث ايديولوجية أم لا ؟ .. اجبنا على الفور بان الشعر لم يكن في يوم من الأيام ايديولوجياً بالمعنى العميق المسؤول كما هو الآن))[3].

ويبدو أن الهم الأول للشعراء كان الدعوة إلى تأسيس وإرساء مفاهيم جديدة عن الحرية الفكرية واقتحام الموضوعات التي كانت تعدّ محرمة بتأثير التقاليد بهدف تحرير العقل من أسر الأفكار المعادية للحرية، والتي تدعو إلى قهر الإنسان، وإطالة أمد عجزه، فنزعوا إلى الرفض والتمرد، والثورة على كل ما هو قائم.

ولد صلاح عبد الصبور في مصر (1931_ 1981) ترك وراءه العديد من الدواوين؛ هي: الناس في بلادي (1957)، وأقول لكم (1961)، وأحلام الفارس القديم (1964)، وتأملات في زمن جريح (1970)، و شجر الليل (1973)، الإبحار في الذاكرة (1977). وعدد من المسرحيات الشعرية منها الاميرة تنتظر، مأساة الحلاج ،مسافر ليل...

انصرف صلاح عبدالصبور عن الشعر الملتزم بغاية اشتراكية إنسانية، وهذا نجده في ديوانه الأول، منتقلا إلى رؤية تزداد ذاتيتها وتتراوح بين لون خفيف من التصوف، وتأملات مكتئبة نحو اليأس، بل والموت أحياناً. بدأ اتجاه الشاعر نحو التصوف يلاحظ في ديوانه (أقول لكم) ،ويتزايد ميل الشاعر إلى تأمل الذات في ديوانه(أحلام الفارس القديم). ولا تخفى حقيقة هذه الكآبة التي احتلت روح الشاعر في الديوان التالي(تأملات في زمن جريح). وللشاعر عدد من القصائد التي حملت الحزن عنواناً لها وربما كان عبد الصبور مصابا بحالة من الاكتئاب، تعود اسبابها الى القهر النفسي الذي ظل يعاني منه اكثر الشعراء، جراء الاخفاقات المتكررة في الحياة

إن ما يبدو في ديوان (تأملات) هو عالم حزين، يجد فيه الإنسان التعيس مهرباً مؤقتاً – في الجنس– من المرارة والشقاء. ويأتي ديوان (الإبحار في الذاكرة) ليرسم نقطة تحول كبيرة في مسار حياته الفكرية والأدبية، أدرك الشاعر من خلاله إن الرحلة عبر العالم الخارجي طريقها مسدود ونفقها مظلم لا ينتهي إلى شيء سوى الضياع والتيه.

الواقع إن صلاح عبد الصبور قد اهتدى إلى هذه التجربة أو المرحلة بعد أن مر بتجارب عدة أكسبته معرفة واسعة بأمور الأنظمة السياسية والاجتماعية التي لم تشبع رغبته في التطلع إلى عالم الروح وعالم الإنسان كإنسان له مركز ووجود في هذه الحياة ((لقد فتشت عن

([1])صدى ما بعد الحداثة : رضوان جودت زيادة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط1 2003 8- 9 .

([2])ينظر : التحديات التي تواجه القصيدة العربية الحديثة : د. عبد الستار جواد ،الشعر العربي عند نهاية القرن العشرين ، المحور الثاني والثالث ،إعداد خالد خصاك ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، 1989 ، : ص 269 – 270 .

([3])شعرنا الحديث .. الى اين ؟ : غالي شكري، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ص174

معبود آخر غير المجتمع، فاهتديت إلى الإنسان، وقادتني فكرة الإنسان بشمولها الزمني والمكاني إلى التفكير من جديد في الدين))[1] وبعد بحث شاق وعناء طويل تم الانتقال من الخارج إلى الداخل.. من المجتمع إلى الإنسان.. ومن الإنسان إلى الله. وقد قدم صلاح عبدالصبور في كتابه (حياتي في الشعر) 1969 – للشعر رؤية أخلاقية وروحية في أساسها، وهو يراه الآن شديد الشبه بالتصوف، موضحاً أن الشعر يؤكد القيم كالحقيقة و الحرية و العدل. يقول صلاح عبد الصبور في معرض حديثه عن حياته: ((كنت في صباي الأول متدينا أعمق التدين، حتى انني اذكر ذات مرة أني أخذت اصلي ليلة كاملة، طمعا في ان أصل الى المرتبة التي تحدث عنها بعض الصالحين.. وما أزال في قيام وقعود وركوع وسجود، وأنا أرى الى نفسي تصفو ركعة بعد ركعة، وروحي تشف تسليما بعد تسليم، والليل يوغل في سيرته، وركبتاي تنوءان وتضعفان، ثم اقوم من أحدى سجداتي، فاذا بي أرى امامي هالة من نور، فيكاد ان يغمى علي هلعا وفزعا..))[2] .

ويقول في موضع اخر: ((لقد فتشت عن معبود آخر غير المجتمع، فاهتديت الى الانسان و قادتني فكرة الانسان بشمولها الزمني والمكاني الى التفكير من جديد في الدين. وهكذا اصبحت مؤلها، وما زال هذا موقفي الوجداني الذي اخترته))[3].

ويمكن بهذا ان نقسم حياة عبد الصبور الشعرية بانه بدأ وجوديا وقضى مرحلة من حياته ماديا وانتهى شاعرا صوفيا، وهي مراحل متداخلة فيما بينها، إذ اعتبر البحث عن الحقيقة من مهام الفيلسوف والنبي والشاعر، لذلك يبدو من الصعب الاكتفاء بمرحلة من هذه المراحل في الوقوف عند أراء هذا الشاعر ومواقفه من الحياة والوجود والبحث عن يقين وحقيقة . وهكذا كان شعره يمثل رحلة دائمة باتجاه المعرفة معرفة الله، والمقدس بكل اشكاله.

المبحث الثاني : المقدس الديني المفهوم والرؤية

لا يوجد موضوع اختلفت في تحديده الآراء مثل موضوع الدين وتعريفه حتى صار من الصعب جدا وضع إطار لصورة تمثل الدين يتفق عليها الجميع[1]. وهذه الحقيقة سمحت لمفهوم الدين أن يتغير باختلاف العصور[2]، ويعد المعتقد في المنظور الاجتماعي الديني المرتبط بتشكيل عقل الإنسان وتوجيهه ((أول أشكال التعبير الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني))[3]، وقد جعلت كل الأديان لوجود الإنسان غاية، وهدفا يسعى لبلوغه .

والشاعر بفعل حساسيته المفرطةِ، أبلغ من جسَّد هذا الميل حين جرب أن يحس بوحدته و تفرده في الكون، و تولى أمر نفسه بنفسه، فشكك في الحقائق و مال إلى التفلسف الوجودي، و تفسير الكون عقلا ومنطقا، بفعل إحساسه بالعبث و القلق والمرارة، وكان صلاح عبد الصبور واحدا من اولئك الشعراء الذين جسدوا هذا الميل في ادبهم وفي نتاجهم الابداعي بشكل عام.

---

[1] صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر؛ دار اقرأ: بيروت ،1992 م. ص: 81

[2] ديوان صلاح عبد الصبور،مج3: 147.

[3] ديوان صلاح عبد الصبور،مج3: 157.

([1])الفكر الديني القديم، تقي الدباغ ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1992م.ص: 9.

([2])الفكر الديني القديم: 9.

([3]) دين الانسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني: فراس السواح ، دمشق: دار علاء الدين.ط4 : 2002م.: 47.

مفهوم المقدس في شعر الحداثة – صلاح عبد الصبور مثالاً–

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

لجأ الشاعر في سياق تجربته الشعرية وبمقتضاها إلى المرجعية الدينية لــ((يبحث عن مدى لصوته وأصداء لتجربته، ويفتش عن وجوه تعكس تجربته أو تؤكدها أو تضيف إليها، وهنا يكون اتجاه الشاعر إلى الأصوات الشعرية مقصوداً، ويكون انتقاء الوجوه التراثية عقلياً، ومشروطاً بالتجاوب الإنساني بالمعنى الرحب للكلمة))[1] ، وقد تأثر الأدب الحديث بالنصوص الدينية، وهو تأثر طبيعي لما لهذه النصوص من مكانة أساسية في مجمل جوانب الحياة من جانب، ومن جانب اخر اصبحت النصوص الدينية تشكل للشاعر الحداثي نوعا من التحدي ، يحاول ان يقف امامها متأثرا بمعانيها.

وتعدّ الكتب السماوية الثلاثة؛ القرآن، التوراة، الإنجيل، رافدا مهما من روافد التجربة الشعرية الحداثية لدى الشعراء إذ استقوا من آياتها، وشخصياتها النبوية والدينية، ما جعلهم يفجّرون طاقاتها الدلالية، لإنتاج دلالات تستوعب الحاضر وأبعاده، مستغلين طاقاتهم الإبداعية في الوصل بين تجاربهم والنصوص المقدسة والقيم العليا التي تدعو إليها، فسعة معانيها قابلة لإعادة التشكل بحسب الزمان والمكان[2].

ولا شك أن الأثر الذي تركه النص المقدس عميق إلى الحد الذي يصعب تتبع أبعاده أو سبر جميع أغواره ولاسيما في إطار الشعر الحديث الذي يحرص بطبيعته الإيحائية، والأدائية على التمثل الخفي، والتعبير الرمزي، والاهتمام بالأساليب والصياغات الفنية المبتكرة.

ويعد الرافد القرآني أكثر تأثيراً على الشعر العربي في رحلته المعاصرة من غيرها من المراحل السابقة إذ شكل النص القرآني القاعدة المرجعية الأولى التي انطلقت منها ذاكرة النص الشعري في العصر الحديث[3]، فالقيم الإسلامية والشخصيات والأحداث لم تعد ساكنة في ذمة التاريخ ؛ بل أصبحت قيماً تسهم في الحياة المعاصرة؛ وذلك من خلال استلهام الشاعر للروح الثورية منها، وما يمكن أن تعبر عنه وتجسده من وحدة في الزمن والتاريخ والحضارة والمصير البشري، فشخصيات مثل(النبي نوح (عليه السلام)، النبي أيوب (عليه السلام)،والنبي محمد(صلى الله عليه واله) ...وغيرها من الشخصيات الدينية المقدسة فضلا عن الأحداث والوقائع التاريخية مثل (الطوفان ،وهجرة النبي ، واقعة كربلاء ..)، لا تشكل عودة إلى أكثر الينابيع خصوبة وحسب بل باتت تمثل عودة الإنسان إلى ذاته الممزقة، التي يكاد يسحقها وهج الحضارة المعاصرة المادية والفكرية[4].

وتبعاً لما تقدم سنسعى في هذا البحث إلى تناول الرموز المقدسة – شخصية وحدثاً – و تتبعها وتحديد حضورها ومدى فاعلية هذا الحضور في النص الشعري عند صلاح عبد الصبور، من خلال متابعة نماذج منها في شعره.

يواجه الباحث في شعر صلاح عبد الصبور اشكاليات عدة؛ فالكتابة الشعرية عنده مغامرة ورحلة مضنية في طريق قلق، لأنه أشبه بطريق الصوفي الباحث عن الجوهر والطهر في ركام المفاسد والشرور. وهذا ما يقوله صلاح عبد الصبور في هذا المعنى: ((وقد ظل معنى الرحلة ينمو في نفسي، منذ ذلك الحين، ويكتسب أبعاداً جديدة من المفارقة والنصب، والولاء فيها للشعر، والرحلة تبدأ بعد التأهب

([1])الصوت وأبعاده، د. مشهور فوّاز، مجلة(عمّان) عمّان، ع 52، 1999م: 30.

([2])ينظر: توظيف التناص في "متاهة الأعراب في ناطحات السراب" المؤنس الرزاز : محمد علي الشوابكة، مؤتة م10،ع2 ، 1995م: 16- 19 .

([3]) ينظر: السكون المتحرك، علوي الهاشمي منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات،ج3، ط1، 1995 م: 68 -69 .

([4])

الساكن لزورة الشعر التي لا تجيء، فيخرج إليه الشاعر طالباً عطاءه، بعد أن ينزع عن نفسه كل شارات الحياة متجرداً كتجرد الحاج إلى قدس الأقداس))[1]. هكذا تبدو رحلة الشاعر العظيم في نظره. فهي لا تتم إلا بعد جملة من الشروط منها: التأهب والخروج والتجرد وترك اشارات الحياة:

"يا ربنا العظيم يا معذبي

يا ناسج الأحلام في العيون

يا زارع اليقين والظنون

يا مرسل الالام والافراح والشجون

لشد ما اوجعتني

[...]

أم ترى نسيتني ؟

الويل لي ، نسيتني

نسيتني

نسيتني..."[2]

في قراءتنا لهذه السطور والأبيات من شعره نجد أن الشاعر قد نجح في عكس حالة التوتر المتنامي في داخله؛ هذا التوتر الذي يشي بعمق الحالة الشعورية في نفس الشاعر المحتدمة في غياهب نفسه، من خلال تضمين القصيدة المقدس الاعلى (الله)، ليعطي لها معنى لما يحدث الآن؛ ويولد شعورا بالوحدة، فهو يتوسل الى الله (**يا ربنا العظيم يا معذبي**)، في اعتراف منه بالربوبية؛ لكنه يفاجئنا في نهاية المقطع بان الشاعر اسبغ صفة انسانية على الله لا تتناسب والصفات الالهية وهي صفة النسيان(**أم ترى نسيتني ؟الويل لي ، نسيتني**) وهذا الامر يحيل القارئ الى ان (الله) وهو المقدس الاعلى يتحول عند الشاعر إلى كائن يتصف بصفات المخلوق. وفي قصيدة (**أغنية من فينا**) يقول:

النبض نبض وثني

والروح روح صوفي سليب البدن

(1) ديوان صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر ،دار اقرأ ، بيروت 1992 م : 17

(2)ديوان صلاح عبد الصبور، مج 1 ، 2 : 208- 209.

مفهوم المقدس في شعر الحداثة – صلاح عبد الصبور مثالاً–

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

اقول، يا نفسي، راك الله عطشى حين بل غربتك[1]

فقد جمع الشاعر بين متضادين (**وثني ، صوفي**) وكأنه يشير الى عمق التناقض الذي يعيشه؛ فهو مدنس من جانب وروحاني من جانب اخر، هذه هي حقيقة التناقض التي تغلف روح الشاعر فهو يتقلب لاعبا كل الادوار ليصل الى حقيقة تجعله يؤمن بها أيا كانت الحقيقة.

وما دام الإنسان يعيش في انكسار وقهر دائمين فلا يعنيه عدد مرات الانكسار، وإن توالت الانكسارات :

"ولننكسر في كل يوم مرتين

فمرة حين نقابل الضياء

ومرة حين تذوب الشمس في الغروب"[2]

عندما يزداد الشعور بالوحدة لدى الانسان فانه يرى نفسه منكسرا وهذا ما رسمه الشاعر في ابياته السابقة؛ فجاءت الفاظه معبرة عن هذا الانكسار، (**ولننكسر في كل يوم مرتين**) نجد هذه الالفاظ تشير الى أن الوحدة قد حدثت وأحاطت به ولا يستطيع ان يوقف استمراريتها وكسر طوقها. والانسان الوحيد لا يقوى على شيء، يعاني من الأزمات النفسية الخانقة، ومشاعر الإحباط التي تحيط به من كل جانب. فلا خلاص له من هذا القهر وهذا الانكسار إلا بالارتحال والمغامرة والتأهب للسفر الطويل.

والشاعر يستعمل في قصيدته (**الخروج**) المعاني السامية للهجرة النبوية معبرا من خلالها عن الواقع القائم؛ فيقول:((استخدمت فيها كخط مناظر لتجربتي، إذ أخرج واقع حياتي مرير إلى واقع رجوت أن يكون أكثر نورا وصفاء واستخدمت خطوط هجرة الرسول العربي من مكة إلى المدينة، فأخفيت ذلك تحت سطح القصيدة بحيث يظل للقصيدة مستويات، مستوى مباشر هو التجربة الشخصية، ومستوى آخر هو هذه التجربة بعد أن تحولت إلى تجربة موضوعية عامة، هي توق الإنسان إلى التحرر، والحياة في مدينة النور))[3].اذن النبي ومسيرة حياته مثلت للشاعر خطا مقدسا حاول ان يحاكيه على مستوى الحياة:

"أخرج من مدينتي ، من موطني القديم

مطرحا أثقال عيشي الأليم

فيها، وتحت الثوب قد حملت سرى

([1]) ديوان صلاح عبد الصبور،مج1 ، 2 : 213- 214 .

([2]) ديوان صلاح عبد الصبور : مج 1، 2: 235-236.

([3])حياتي في الشعر: صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، ط1، 1969م: 102- 103.

دفنته ببابها، ثم اشتملت بالسماء والنجوم

أنسل تحت بابها بليل

لا آمن الدليل ، حتى لو تشابهت علي طلعة الصحراء

وظهرها الكتوم

أخرج كاليتيم

لم أتخير واحدا من الصحاب

لكي يفديني بنفسه، فكل ما أريد قتل نفسي الثقيلة

ولم أغادر في الفراش صاحبي يضلل الطلاب

فليس من يطلبني سوى "أنا" القديم" [1]

والملاحظ في هذه الأبيات الشعرية ان هناك تنويعاً في قصة هجرة الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) حيث يحوي النص الحاضر على عناصر بناء لما حدث في ليلة الهجرة (**أخرج من مدينتي، من موطني القديم، أنسل تحت بابها بليل، أخرج كاليتيم**)، في حين نلاحظ إن هناك تناص واضح للنص الغائب المتمثل بتلك الهجرة فعمل على قلب ذلك الحدث (**لا آمن الدليل، حتى لو تشابهت على طلعة الصحراء، لم أتخير واحداً من الصحاب، لكي يفديني بنفسه، ولم أغادر في الفراش صاحبي يضلل الطلاب**).

واشار عبد الله الغذامي إلى المعنى الظاهري لكلمة المدينة، فيذهب إلى إن الشاعر يقصد بتلك المدينة ((حياة العصر المادي، والخروج هو محاولة الانفكاك منها والعودة إلى الفطرة))[2] فيحاول تحليل نفسية الشاعر ليبين سبب خروجه من المدينة، فالشاعر((محاصر ومطارد، فهو لكي يخرج يحتاج إلى أن يتسلل في الظلام تحت الباب وهو لن يصحب معه أحداً، لأنه لا يأمن الدليل، فالدليل نفسه من نتاج العصر، ووحشة الصحراء وتشابه مسالكها وخطورة ما تخفيه أخف عليه وأرحم به ..))[3].

([1]) ديوان صلاح عبد الصبور.مج1 ،2: 235- 237.

([2]) ينظر ذلك في دراسة مفصلة لتلك القصيدة بعنوان (الدخول إلى الخروج) : تشريح النص ،عبد الله الغذامي، دار الطليعة ، بيروت ، ط1، 1987م : 110 .

([3]) تشريح النص: 111.

وقد تبنى صلاح عبد الصبور في المرحلة الأولى من حياته الفنية موقفا ماديا محضا، فأنكر وجود الله متأثرا بصرخة نيتشه الإلحادية، ورأى في المادية الجدلية موقفا فكريا متماسكا قادرا على تحقيق الكمال في المجتمع[1].

أصبح الشاعر يرى جدوى الحياة في العودة بالإنسان إلى نقائه وصفائه الأول، ولم يفرق عبد الصبور بين التجربة الشعرية والتجربة الدينية ولا سيما في بعدها الصوفي لذلك كان بشر الحافي رمزاً شخصياً للشاعر يقول في قصيدته (مذكرات الصوفي بشر الحافي):

"يا شيخي بسام الدين

قل لي .. "اين الانسان .. الانسان؟"

شيخي بسام الدين يقول :

"اصبر ... سيجيء

سيهل على الدنيا يوما ركبه"

الإنسان الإنسان عبر

من أعوام

ومضى لم يعرفه بشر" (2)

ان تصوف الشاعر لم يكن تصوفاً دينياً ، بل كان استدعاء للرموز الصوفية مثل(بشر الحافي) الذي اصبح عنصر الهام للشاعر، بحثا عن قوى معنوية وروحية جديدة يستعيد بها توازنه ، ويستزيد من معينها ما يشد ازره في درب كفاحه وبحثه الطويل، فقد ((أدرك المثقفون العرب بعد حرب حزيران أن العودة إلى الجذور ضرورية، ليس من أجل الانغلاق على الذات، وتقديس الأجداد، وتمجيد الماضي، والحنين الرومنسي إلى إعادته، بل لمساءلة الذات من خلال مساءلة الماضي، والوقوف على الخصائص المميزة، والهوية الخاصة))[2]. وفي قصيدته (القديس) (1961م) يقول:

"إليّ ، إليّ، يا غرباء ،يا فقراء ،يا مرضى

كسيري القلب والأعضاء ، قد أنزلت مائدتي

([1])ينظر: المذاهب الوجودية من كير كجارد الى ساتر ، ريجس جوليفية ، ،ترجمة فؤاد كامل الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ،1966 م ،ص : 63.

([2]) ديوان صلاح عبد الصبور،مج1، 2 : 268-269.

[2] توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة - دراسة - الدكتور محمد رياض وتار اتحاد الكتاب العرب ، دمشق – 2002: 12.

إليّ ، إليّ،

لنَطْعَمَ كسرة من حكمة الأجيال مغموسة

[....]

وقالت:

بأن النهر ليس النهر، و الإنسان لا الإنسان

[....]

و أن حقيقة الدنيا هي الفلسان فوق الكف

وأن الله قد خلق الأنام ، ونام

و أن الله في مفتاح باب البيت

[....]

رأيت حقيقة الدنيا

سمعت النجم و الأمواه والأزهار موسيقى

رأيت الله في قلبي

.....

شعرت بأنني امتلأت شعاب القلب بالحكمة

شعرت بأنني أصبحت قديساً

وأن رسالتي...

هي أن أقدسكم" [1]

(1) ديوان صلاح عبد الصبور : 175-178.

مفهوم المقدس في شعر الحداثة – صلاح عبد الصبور مثالاً–

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

جنح الشعراء في بواكيرهم الشعرية إلى الذاتية جنوحاً مسرفاً وتحول الانتباه بصورة كلية إلى الإنسان نفسه وتركزت جميع الجهود عليه باعتباره كائناً يتمتع باستقلال ذاتي عن القوى الروحية وما ينتج عن ذلك من إضعاف لفكرة الله[2]، وتسييد للعقل فقد جعلت الحداثة من العقل إلهاً يستطيع أن يصل الإنسان به إلى الحقيقة بكل اشكالها. لذا فـ((التصور السائد حاليا في الغرب عن الله يراه خالقا لا شأن له بخلقه أما تعاليم الوحي فلا تتجاوز كونها تجربة روحية شخصية تتعلق بشؤون الفرد الخاصة به (...) والإنسان سيدّ نفسه))[3].

إن السفر في أعماق الذات أشبه ما يكون بحال المتصوف، فهو كالبرق يلمع ويختفي، ولا ندري متى يأتي؟ ومتى يذهب؟!. هكذا استطاع صلاح عبد الصبور أن يقدم في قصيدة (الخروج) قناعه الأسطوري السندباد وهو يتحول عن الرحلة في الخارج إلى الرحلة في الداخل؛ وقد تزود بالمعارف الصوفية ما يؤهله للفوز بعالمه المنشود (المدينة المنيرة) الذي طالما كان يحلم به وهو طفل صغير. وإن كان في قرارة نفسه يساوره في رحيله بعض الشك في وجود هذا العالم المنشود أو المرفأ الآمن:

"أواه ، يا مدينتي المنيره

مدينة الرؤى التي تشرب ضوءا

مدينة الرؤى التي تمج ضوءا

هل أنت وهم واهم تقطعت به السبل

أم أنت حق؟

أم أنت حق؟" [1]

ان المتتبع لفكرة الرحلة عند الشاعر يلاحظ أنها من أساسيات تكوين تجربته وفلسفته في الحياة، فهي ترتبط حيناً بتجربته الشعرية وحيناً تتجاوزها إلى معنى أشمل هي التجربة الروحية، أو ترتبط بأبعاد وجودية ومصيرية، وهي في كل الأحوال تنم عن نفس تواقة، منجذبة نحو آفاق مجهولة. لكنها رحلة بحث يعود الشاعر بعدها باليقين والحكمة والإيمان بالله وتقديس المقدس ،هي رحلة بحث يحاول الشاعر من خلالها ان يصل بنفسه الى بر الامان بعد طول سفر وتيه.

الواقع أن صلاح عبد الصبور قد اهتدى إلى هذه التجربة التي مثلت مرحلة من مراحل تجربته في الرؤية الإبداعية بعد أن مر بتجارب عدة أكسبته معرفة واسعة بأمور الأنظمة السياسية والاجتماعية التي لم تشبع رغبته في التطلع إلى عالم الروح وعالم الإنسان كإنسان

(2) ينظر : نقد الفكر الديني – جلال العظم - دار الطليعة - بيروت – 1969 – ص186 .
(3) ملاحظات منهجية حول التعريفين الإسلامي والليبرالي للحرية – أ. سيد مجيد ظهيري – ترجمة احمد العبيدي – المنهاج ع26 – السنة السابعة – 2002 – ص65
(1) ديوان صلاح عبد الصبور، مج 1 ، 2: 237.

مفهوم المقدس في شعر الحداثة – صلاح عبد الصبور مثالاً–

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

له مركز ووجود في هذه الحياة ((لقد فتشت عن معبود آخر غير المجتمع، فاهتديت إلى الإنسان، وقادتني فكرة الإنسان بشمولها الزمني والمكاني إلى التفكير من جديد في الدين))[1] وبعد بحث شاق وعناء طويل تم الانتقال من الخارج إلى الداخل.. من المجتمع إلى الإنسان.. ومن الإنسان إلى الله. وقد جاء تعامله مع المقدس بشكل رمزي في قصيدته(كلمات)(1961م) اذ اعتمد على المرجعية الدينية(الإنجيل) في تصوير كلام السيد المسيح(عليه السلام):

"وللألفاظ سلطان على الإنسان

ألم يرووا لكم في السِّفر أن البدء يوما كان ...

–جل جلالها– الكلمة

الم يرووا لكم في السفر أن الحق قوَّال

ولكني أقول لكم

بأن الفعل والقول جناحان عليّان"[2]

فيطرح الإنسان (الشاعر) المتأمل اسئلته المتلهّفة لمعرفة الحقيقة، ويواصل تحليقه، ويتجاوز في أسئلته حدود الزمان والمكان سعياً إلى أجوبة تشفيه وتريحه، وقد تبعث فيه هذه الأجوبة الحيرة والألم لتكشف سرّ عذابه وقدسيته .فالنص الحاضر عندما يقول (أن البدء يوما كان–جل جلالها– الكلمة)، إنما يوظف النص الإنجيلي الغائب ((في البدء كانت الكلمة))[3] .فالإنجيل هو نص مقدس عند الشاعر.

وهذاما نقرأه في قصيدة (اغنية الى الله) فقد قال فيها :

"الله يا وحدتي المغلقة الأبواب

الله لو منحتني الصفاء

الله لو جلست في ظلالك الوارفة اللقاء

اجدل حبل الخوف والسأم" [3]

(1) ديوان صلاح عبد الصبور : مج3 : 81.
(2)ديوان صلاح عبد الصبور، مج 1-2: 173-174 .
(3) الكتاب المقدس ، العهد القديم : إنجيل يوحنا "وقال الله ليكن نور فكان نور" .
(3) ديوان صلاح عبد الصبور ، مج 1-2 : 173-174

عندما أراد الشاعر التعبيرَ عن أزمة ما تعصف بمجتمعه أو بكيانِه، اختارَ أن يتكئَ على بعدٍ دينيٍّ مقدسٍ في شعره، ليطلَ من خلاله على ما يريد قوله، موظفًا لذلك لفظةً (الله). إن ركون الشاعر للنص الديني المقدس، حضر بعمقٍ، ليعبّر عن قلقٍ وجوديٍّ إنسانيٍّ مجتمعيّ يعيشه الشاعر بكيانِه كلِّه؛ فالشاعر عندما أراد إعلان رفضِه، والتعبير عن حال الإحباط التي يشعر بها ،وعندما أرادَ التعبير عن قلقِه، أخذ من النص الديني ما يتناسبُ وقصيدتَه، موظفًا رمزًا دينيًّا يشق من خلاله حجب مشاعره ورؤاه وهواجسه ويأسه ومأزقه الوجودي. فالمقدس حاضر بكل اشكاله في شعر صلاح عبد الصبور.

النتائج

الحمد لله والصلاة والسلام على اكرم خلق الله نبينا واله وصحبه اجمعين . في نهاية البحث توصلنا الى نتائج عدة ومنها:

- المقدس في شعر صلاح عبد الصبور لم يتخذ صورة واحدة بل جاء بصور متعددة فتارة يتحول المقدس الى لا مقدس ويعود ثانية الى مرتبة القدسية.
- الافكار التي سادت عصر الشاعر كانت تتجه باتجاه الهدم وتبعا لتأثر الشاعر بها تعامل مع التراث والمقدسات بوجهة نظر تجنح نحو الهدم والتقويض لكننا وبعد الوقوف عند الافكار التي عرضها الشاعر في ديوانه تبين لنا ،انه حاد عن افكار الهدم من اجل الهدم وعاد ثانية ليؤمن بما حوله.
- اتخذ الانسان في مواضع عدة موقع المقدس تماشيا مع افكار نيتشه الذي ينادي بالإنسان الاعلى واسقاط فكرة الاله او موت الاله، ولكن الشاعر تذبذب في هذا الموقف ايضا فتراه مرة يجعل من الانسان قيمة متعالية ،وتراه في مواضع اخرى يجعل من الانسان كائنا ضعيفا مستسلما .
- نستنتج من خلال النقد الذي يقدمه الشاعر للإله والدين، أن له موقفاً يتراوح بين الرفض والقبول، الإيجابي والسلبي. ولا ننسى أنّ هدف الشعراء البحث عن النموذج وتدمير السائد، فكان لابد من جديد يتناسب وروح العصر.
- لقد بدأ الشاعر وجوديا وقضى مرحلة من حياته ماديا وانتهى شاعرا صوفيا، وهي مراحل متداخلة فيما بينها، إذ اعتبر البحث عن الحقيقة من مهام الفيلسوف والنبي والشاعر، لذلك يبدو من الصعب الاكتفاء بمرحلة من هذه المراحل، وهكذا كان شعره رحلة دائمة باتجاه معرفة الله. رحلة في بحار الفكر وعوالم الروح، رحلة تسعى للوصول إلى أعلى درجات المعرفة.
- المنجز الشعري للشاعر ينبئ عن ملامح الشعر الصوفي الجديد، ولاسيما بما أفضت إليه معاناته من قلق وجودي واغتراب وسأم وأسئلة متعلقة بالهمّ الوجودي. وفي تجربة الشاعر نماذج معبرة عن المذهب الصوفي الوجودي، وتتعامل بجدية مع الرموز الصوفية.

التوصيات

- على الباحث في الادب العربي الحديث والمعاصر ان يتعامل مع النصوص الادبية دون احكام مسبقة.
- الاديب يتعامل مع كل الافكار المطروحة تعاملا مغايرا لتعامل الفيلسوف والمفكر ،وبالتالي فان ما يطرحه الاديب يجب ان لا يوضع

أ. م. د. بشرى حنون محسن أ. م. د. انوار سعـــيد جواد

موضع الشبهة

- ان يؤخذ الوضع العام الذي يعيشه الاديب بعين الاعتبار عند قراءة الافكار التي يبثها الاديب في كتاباته.
- مفهوم المقدس لا يمكن حصره من وجهة نظر محددة ، الا فيما يخص الله والانبياء، وما يعد مقدسا لاحد ليس شرطا ان يكون مقدسا لآخرين.
- لابد من التمييز بين ان يوظف المقدس لقدسيته ،او عده رمزا ادبيا يعمد الاديب الى توظيفه خدمة للنص.

المصادر والمراجع

- الإنسان والدين، عبد الحميد محسن، بحث ضمن كتاب الإنسان الموسم الثقافي لدائرة العلم الإنسانية، منشورات المجمع العلمي، 2000م.
- تاريخ الأديان وفلسفتها ، طه الهاشمي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963م .
- التحديات التي تواجه القصيدة العربية الحديثة : د. عبد الستار جواد ،الشعر العربي عند نهاية القرن العشرين ، المحور الثاني والثالث ،إعداد خالد خصاك ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، 1989.
- تشريح النص ،عبد الله الغذامي، دار الطليعة ، بيروت ، ط1، 1987م.
- توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة : دراسة الدكتور محمد رياض وتار، اتحاد الكتّاب العرب ؛ دمشق :2002م .
- توظيف التناص في "متاهة الأعراب في ناطحات السراب" المؤنس الرزاز: محمد علي الشوابكة، مؤتة م10، ع2 ، 1995م .
- الحداثة وما بعد الحداثة، د. محمد سبيلا، مركز دراسات فلسفة الدين –بغداد،2005.
- حياتي في الشعر صلاح عبد الصبور، دار اقرأ بيروت 1992 م.
- خصوصية الخطاب الشعري في ديوان(طواف المفتي) لحبيب الزيودي دراسة في ظاهرتي(التناص والانحراف الأسلوبي)ابراهيم الكوفجي،دراسات،م29/ع1/2002 م.
- دين الانسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني: فراس السواح ؛دمشق: منشورات دار علاء الدين. الطبعة الرابعة: 2002م.
- ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة ، بيروت، 1986 م.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبد الكريم القشيري ، تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي دار الجيل ، بيروت، ط2 .
- السكون المتحرك، علوي الهاشمي منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات،ج3، ط1، 1995 م .
- الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، عز الدين إسماعيل ، مط دار العودة ، بيروت ، ط2 ، 1972 م.
- شعرنا الحديث .. الى اين ؟ : غالي شكري، دار الافاق الجديدة ، بيروت.
- صدى ما بعد الحداثة : رضوان جودت زيادة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى :2003م.
- صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر؛ دار اقرأ، بيروت ،1992 م.
- الصوت وأبعاده، د. مشهور فوّاز، مجلة(عمّان) عمّان، ع 52، 1999م.
- عن اللغة والأدب والنقد رؤية تاريخية ورؤية فنية: محمد أحمد العزب؛ مؤسسة المعارف للطباعة والنشر: 1980م.

- فلاسفة المشرق والمغرب ، غالب مصطفى ، منشورات حمد ، بيروت ، ط1 ، 1968م.
- الفكر الديني القديم، تقي الدباغ ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1992م .
- الكتاب المقدس : إنجيل متى.
- المذاهب الوجودية من كير كجارد الى ساتر ، ريجس جوليفيه ، ،ترجمة فؤاد كامل الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ،1966 م.
- ملاحظات منهجية حول التعريفين الإسلامي والليبرالي للحرية: أ. سيد مجيد ظهيري ـ ترجمة احمد العبيدي ـ المنهاج ع26 ـ السنة السابعة ـ 2002.
- الموت في شعر السياب ونازك الملائكة" دراسة مقارنة"، عيسى سلمان، رسالة ماجستير، جامعة بابل ، 2003 م.
- نقد الفكر الديني : جلال العظم ، دار الطليعة : بيروت ، 1969 م.